

سنحاول في هذا البحث الرد على هذا السؤال الذي يزداد الحاحا كل يوم .
 لنبدأ بالباحث . ان كتابة البحوث التاريخية بشكل منظم شامل حول قضايا معاصرة (كالقضية الفلسطينية) هو بالنسبة لعرب القرن العشرين علم جديد لا يتجاوز عمره سنوات معدودة . بل يمكننا القول بأنه قبل تأسيس مركز الابحاث في منتصف الستينات ، لم يكن هناك نشاط منظم على هذا الصعيد . فكتابة البحوث تعتمد هي أيضا على قانون العرض والطلب ، والطلب في السنين الواقعة بين ١٩٤٨ و ١٩٦٥ كان عموما ينصب على القصائد الحماسية وليس على البحوث التاريخية .

ثم بدأت الدراسات الجادة اثر تأسيس مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، ونشوء جيل جديد من المثقفين المصممين على دراسة القضية دراسة علمية عصرية ، فنشرت الدراسات القيمة ، وصدرت المجالات المختصة ، وبدأ العرب اخيرا يعرفون عدوهم من خلال دراستهم العلمية لمجتمعهم واستراتيجيته الخ . . الا انه بالرغم من هذا التقدم المطرد الذي احرزته كتابة البحوث الفلسطينية ، فالتفكرات ونقاط الضعف ما زالت تبدو واضحة لن يدرس ويتتبع بعناية الجهود المبذولة في هذا المضمار . فالباحث العربي ما زال يستند في الدرجة الاولى على الكتب والصحف وليس على الشهادات الشخصية في انجاز دراساته . انه دوما يبحث عن المصادر المكتوبة على حساب المصادر البشرية الحية ، علما بأن المصادر المكتوبة منشورة بأغلبيتها بلغة أجنبية ، وجزء كبير منها دونه اقلام مغرصة . انه طبعاً يقترب منها بحذر في البداية ، بيد أن طبيعة عمله الاكاديمي تجعله بعض الاحيان ينسى حذره المبدئي اثر انغماسه في المطالعة والكتابة ، فيعجز عن غربلة المعلومات وتقييمها على الوجه الصحيح قبل الاستثمار بها في بحثه .

ولا بد من الاشارة هنا الى حقيقة بديهية بالنسبة للعاملين في حقل الكتابة ، وهي ان للكلمة المطبوعة مفعولا يكاد يكون سحريا في نفس قارئها . فلاسباب سترك امر تحليلها للسلوكيين المختصين ، يميل القارئ العادي ، فطريا ، الى تصديق الاخبار التي يقرأها في الكتب او الصحف . انه ينسى كون الكاتب بشرا مثله ، عرضة للخطأ او قد يجول في خاطره ان هذا الكاتب قد تعمد التضليل لغرض في نفسه . ولا ريب ان الكاتب الصهيوني جون تمحي كان يدرك هذه الحقيقة عندما **طبع** في مجلة نيو ميدل ايست قبل أعوام مقالا نسبه الى مجلة الهدف .

ومما لا شك فيه ان الباحث المتخصص في القضية الفلسطينية هو أكثر تمحيما وتدقيقا في قراءاته من القارئ العادي . ومع ذلك ، هناك خطأ شائع يقع فيه بعض الباحثين وذلك بسبب الاهمال الناشئ عن الكسل ، او بسبب الثقة الزائدة التي يمنحونها لكتاب يزيدون استنقاء المعلومات منه . وفيما يلي مثال على هذا الخطأ : في سياق قراءته لكتاب يقع في نطاق بحثه ، يعثر الباحث على تصريح لآيا ايبان يذكر مؤلف الكتاب ان وزير الخارجية الاسرائيلي قد ادلى به الى صحيفة « جيروساليم بوست » التي نشرته في عددها الصادر بالتاريخ الفلاني . وغورا يستعيد الباحث نص هذا التصريح مع تاريخه ومصدره ويشير اليه في بحثه ، ثم يتضح فيما بعد ان المؤلف الذي نقل عنه هذه المعلومات لم يكن دقيقا ، او ربما لم يكن نزيها . فالتصريح المنسوب الى ايبان قد يكون مخترعا من أساسه ، او محورا ، او ناقصا بشكل يغير من معناه . او قد يتضح بأنه لم ينشر في « الجيروساليم بوست » وانما في صحيفة اخرى ، او قد يظهر بأن تاريخ الصدور خاطيء . بل يحدث في بعض الحالات ان الذنب يقع أصلا على الطباعة ، عندما تؤدي غلطة مطبعية صغيرة الى تغيير المعنى جذريا .

والباحث العربي قد يكون بحكم اختصاصه معصوما ضد التصديق الفوري لما يقرأه